"Language is a Human Limitation" _AD

TRANSLATION MONITOR

Volume 4, Issue 06, November 2007

مشكلة (رِيْ) في الإعلام العربي المزري

بقلم علي درويش

٢٢ تشرين الأول / أكتوبر ٢٠٠٧

قال أرسطو في فن الخطابة:

لا يكفي أن يدركَ المرء ما يريد أن يقول، بل ينبغي عليه أن يقول ما يدركُ بما ينبغي.

ما برح الإعلام العربي يسعى في تقليده للإعلام الغربي "المتطور والمتحضر والمتنور والسامي والراقي والمهذب" ينقل الكلام من مصادره نقلاً حرفيًا غبيًا، ومازال يدعي الحياد والموضوعية والدقة والمصداقية في نقل الخبر بحثًا عن الحقيقة التي يدفعون ثمنها بأشكال مختلفة ويتقاضون لقاءها أثمانًا متنوعة، حتى أصبحنا نكرر حماقاتهم في غفلة من أمرنا، ومن عاشر القوم صار منهم أو يكاد، فتتسرب إلى كلامنا فنستدركها، ولات ساعة مستدرك! وآفة الجهل تطغى! ولعل في الحكمة القديمة القائلة (من راقب الناس مات همًا) ما يوجب إعادة النظر في هذه المهمة الصعبة. ولكن كما قال شاعر النسوانِ نزار قباني: أدمنتُ حبَّكِ، أو لعله قال أحببتُ دِمْنَكِ!

ومن المفارقات أن الإعلام العربي ما انفك يذكرنا بأن هناك ما يزيد عن ٧٠ مليون أمّي في العالم العربي، ويبكي ويتباكى على هذا الوضع المخزي. ولكن الأمر الأشد خزيًا وعارًا انتشار الجهل والأمية والغباء في صفوف الإعلاميين العرب بدرجة تنذر بكارثة اجتماعية شاملة. فللسبعين مليون أمّي ظروفهم أولها غياب الكفاية والعدل والإنصاف في توزيع الثروات والخيرات وانشغال الأرباب في ملء البطون وتعهّد الكروش، حتى راحت تلك المسلسلات الرّمضانية تعكس تلك الحالة المَرَضيّة في المجتمعات العربية، وتكشف الحياة اليومية للمتخمين والمنعمين، يشترون الأسهم والعقارات ويحيكون المؤامرات ويكيدون المكائد: أم متسلطة وأب خنوع وجدة لعنة الله عليها، و"يا بنت عمي ناوليني المقراظ"! إلا مسلسل واحد يتمنى المشاهد أن يكون مسمارًا في بابه أو بلاطة في شوارع حارته!

Copyright © 2007 Ali Darwish.
Translation Monitor™ is an electronic bulletin published by Ali Darwish. All Rights Reserved.

ولن ندخل في هذه المتاهة حتى لا ننصرف عن أولئك المتعلمين والمثقفين الذين يحسنون القراءة والكتابة والتحدث بلغات مختلفة ومتعددة. فما عذر هؤلاء؟ لقد علّق أحدهم على اهتمامي المستمر بما تقذفه الصحافة في وجوهنا من حماقات، آخذاً عليّ شدة النقد والتربص. ولكن كيف يتربص الإنسان بما يُلقَى على مسامعه في كل جملة وعبارة يشوبها الخلل ويعتريها الغباء والجهل، حتى لا تكاد عبارة واحدة تخلو من الخلل والخطأ، فلا يستطيع ذهن متوقد ولا عقل نيّر تجنبها واجتنابها لتفشيها واستشرائها في جنَاباتِ كلامهم وأطراف ألسنتهم المعوجّة. ونحن هنا لا نلتفت إلى الأخطاء النحوية التي يكلّ المرء من تعدادها، بل العيوب المنطقية التي تصيب أذهانهم وعقولهم من خلال الترجمة الحرفية المطلقة الحمقاء، والتي تدل على بلادة أذهان النخب المستنخبة الغبية. اسمعوا ما قاله أحد المذيعين المرضى في فضائية عربية اليوم:

وصل نيلسون مانديلا إلى لندن لحضور حفل كشف النقاب عن تمثاله...

ثم يتكرر هذا الخبر في النشرة تلو النشرة طوال اليوم، وأنتظر لعلّي أجد من يستدرك في تلك الفضائية من مراقبي نصوص (هكذا يسمونهم هذه الأيام) ومدققي لغة لا يدققون إلا في حساباتهم في المصرف، فيصحح هذا الخطأ الشنيع، ولكن لا حياةَ لمن تنادي، ولا مناديَ لمن لا حياة له! فلا يستدرك أحد من هؤلاء الصعاليك والعضاريط هذا العيب الفاضح الذي من الواضح أنه لا

يُحدث أي رد فعل في نفوس أولئك العباقرة وعقولهم المريضة الخدرة. بل نجدهم يقرأونه علينا وابتسامة الغباء ترتسم على وجوههم، أو نظرات الغرور والاستعلاء تستطير من عيونهم الغبية. فذاك مذيع أكل الدهر عليه وشرب وبال، وتلك مذيعة حصلت على وظيفتها لمقاساتها في سوق الحلال، وآخر لا يدرك ما يقول وما يُقال! كيف يُكشَفُ النقاب عن التمثال والنقاب هو "القِنَاعُ والخِمَارُ والحِجَابُ، أيْ مَا تجعلُهُ المرْأَةُ على أَنفِهَا أَو وجهِها تَتَستَّرُ به"؟ هل بينهم من سأل هذا السؤال؟ نعم، لقد كان التمثال مسلمة ملتزمة محتشمة ترتدي النقاب أو لعله كان فارسًا نبيلاً يخفي وجهه "بالنقاب"، فجاء مانديلا ليكشفه. أليس كذلك يا أغبياء؟

لقد رأى المترجم العربي الذليل الغبي الأحمق الجاهل الهَجعُ الفعلَ الإنجليزي (unveil) فترجمه بكل غباء وحماقة وذل واستكانة بكشف النقاب، دون أن يعمل عقله البليد فيدرك سخافة هذه الترجمة. فقد رأى (veil) في (unveil) فأجرى حسبة صغيرة على أصابعه الغليظة الملوثة البليدة: (veil = نقاب) + (un = أزال) = كشف النقاب. ولم يدرك هذا الأحمق ومن معه من أعضاء في جمعية الحمقى من مترجمين ومحررين ومدققين وإعلاميين أن الاصطلاح هو (رفع الستار) أو (أزال الستار) وأنك في المتعارف عليه لا تكشف النقاب عن التماثيل!

Copyright © 2007 Ali Darwish.
Translation Monitor™ is an electronic bulletin published by Ali Darwish. All Rights Reserved.

ومع تحرر الإعلام العربي من سطوة السلطة في مجتمعات الذل والمسكنة والانصياع والاستبداد المهني والاجتماعي والاقتصادي والسياسي، والتزلف والتملق والنفاق، لا يجرؤ مترجم أو محرر أو مذيع، أو شاب يجري عنفوان الشباب في عروقه وتتأجج نار الغيرة في دمه، وكل صاحب قضية وطنية أو قومية، على لفت الانتباه إلى خطأ معيب وخلل مخجل، فسرعان ما يحطمونه ويبعدونه ويقصونه، تمامًا كما فعل عباقرة النقد الأدبي والشعري في مسابقة منذ عهد قريب، عُرفت نتيجتها قبل بدايتها، وهم "يستحظرون" الجمالية في النصوص و"يستنهظون" الإبداع في القصائد، ويفرضون آراءهم السخيفة على المتبارين. وأنا "أُهْنِـئُكم" على هذا الذل والتزلف والجهل المغطى بالببغائية الفكرية والسطحية النقدية. فحتى من بقي في خلايا دماغه شيء من التوقد والحدة، وفي عينيه شيء من النظر والبصر، لا يريد أن يتورط في هذه الأمور، على طريقة إسماعيل ياسين، "ونا مالي"! خشية وخوفًا وجبنًا، واستمصاصًا، واستسلامًا، حتى قال الشاعر:

إنَّ الرجالَ لهُمْ إليكِ وسيلةٌ أَن يأْخذوك تَكَحَّلي وتخَضَّبي[1]

وفرّجي وباعدي واستنخبي! إلى أن يأتينا أحد المهابيل في برنامج وثائقي يقول لنا مترجمًا (تدمير لا يمكن إصلاحه)، دون أن يسأل نفسه هذا الغبي الأحمق كيف يمكن إصلاح التدمير؟ نعم لقد كان تدميراً غير صحيح ونريد الآن إصلاحه لكي يكون تدميرًا جيدًا، ذلك أن سيدهم الخواجه لا ينطق عن الهوى حين يقول (the destruction was irreparable). فأصلح الشيءَ أزال فسادَه! فكيف نصلح التدمير؟ بإزالة فساده؟ لكي يكون عندنا تدمير خالٍ من الشوائب والعلل و"الأعطال"؟ سل أولئك الأغبياء فقد يأتيك الجواب من متحذلق مئر أستاذ في جامعات الجهل والأمية بأن ذلك ضرب من المجاز المرسل والإبدال والانتقال مما وقع الفعل عليه إلى نتيجة الفعل الواقع عليه الفعل! ولكن ما هي إلا سفسطات في عقول محدودة وأدمغة عابثة تَبِنَةٍ بالفعل!

وتطالعنا مذيعة لم يعد ينفع معها مبضع الجراح ولا نفخ الشفاه، يتحرك فمها قبل أن نسمع صوتها، فنخاله خللاً قد أصاب الإرسال، تقول لنا متلمظةً قيحَ السوائل التي تنضح من مسامات شفتيها، لها غمازة في خدها تغور وتعلو كأنها ضوء إشارة في واجهة سيارة، تنظر إلينا بعين لها إرادتها المستقلة فتارة تنظر إلينا وطورًا تهيم على وجهها وتضرب في جيوب الأرض! عودي! سألتك أن تعودي! كفى هجرًا وحنثًا بالوعود!

إن البيت الأبيض (ينفي احتمال حرب ضد إيران).

نعم لقد نفى الاحتمال ولكنه لم ينفِ الحرب؟ فكيف ينفي ما هو محتمل، أي ما هو في حيز القوة لا الفعل؟ يبدو أن الخبر قد جاء كالآتي:

The White House discounts the possibility of war action against Iran.

Copyright © 2007 Ali Darwish.
Translation Monitor™ is an electronic bulletin published by Ali Darwish. All Rights Reserved.

فترجموا (discount) بـ (ينفي) و(possibility) بـ (احتمال). ولا يعرفون الفرق بين الإمكان والاحتمال. والإمكان هو الدخول في حيّز الاستطاعة، أما الاحتمال فهو الشك والوهم والجواز! ومن هذا القبيل قولهم أيضًا: (قبل اللجوء إلى عمل عسكري محتمل). فكيف يكون اللجوء إلى شيء محتمل؟ وكذلك قولهم (الاتحاد الأوروبي يدرس احتمال اتخاذ إجراءات ضد باكستان). ومتى وقع الاحتمال بطل الاستدلال! "الدرس انتهى لمّوا الكراريس"!

ثم يشتد الاهتمام بباكستان فجأة وبالانتخابات الرئاسية الأضحوكة فيها، فتشرع إحدى الفضائيات في تكرار الخبر (إعادة انتخاب مشرف رئيسًا للبلاد). هذه الفضائية التي راحت تزرورق بعد احمرار واصفرار، وتزهو وتتباهى كالطواويس بصدق الخبر وتحريه، لم تسأل كيف يمكن إعادة انتخاب من استولى على السلطة في انقلاب عسكري؟ هل كان ذلك انتخابًا أم خلبًا؟ ولكنها وغيرها من الفضائيات المستلبة ترجمت الخبر عن الإنجليزية. فحتى جميع الصحف البريطانية والـ بي بي سي، يا عيني، وغيرها من وسائل إعلام متنور وذكي ومتقدم، راحت تكرر كالببغاوات الحمقاء (Musharraf will be re-elected)، لأن الناطق الرسمي باسم برويز قال للصحافة بالإنجليزية الباكستانية:

> The presidential election is likely to be held in the first week of October, and we have enough votes to re-elect President Musharraf for a new term.

ولكن أصل الداء والمعاصي رويترز. هاكم الخبر الأصلي:

> ISLAMABAD (Reuters) - Pakistan's President Pervez Musharraf will give up his post of army chief if he is re-elected president and will be sworn in for a new term as a civilian, his lawyer told the Supreme Court on Tuesday. [Reuters]

وراحت البي بي سي تكرره كما هو، في عالم القص واللصق والبصق، والإدعاء بتحري الأخبار من مصادرها وتوثيقها وغير ذلك من كلام فارغ! أوليس الأمر رويترز قبل أن يصبح خبرا؟

> Pakistan's President Pervez Musharraf will give up his post of army chief if he is re-elected for another term of office, his chief lawyer has said. [BBC]

ولو سلمنا بأن الأمانة في النقل والعنعنة واجبة في نقل الكلام المباشر كما هو وفي ردّه إلى أصحابه بكل أمانة ودقة، فمن الواجب أيضًا تذكير متلقي الخبر بأن الكلام المنقول ملتبس، بحكم طبيعة التعبير الإنجليزي (re-elected)، كالآتي أو نحوه:

Copyright © 2007 Ali Darwish.
Translation Monitor™ is an electronic bulletin published by Ali Darwish. All Rights Reserved.

والجدير بالذكر أن مشرف استولى على الحكم في انقلاب عسكري أبيض في عام ١٩٩٩.

ولقد جرت العادة في الصحافة العربية العتيدة في القرن الغابر على هذا النوع من التنويه والتنبيه، ولم يكن ذلك بواقع الذكاء والفطنة كما يظن الناس، بل من واقع الاستلاب وتقليد الأسياد، حتى من أولئك الذين راحوا يرفضون أشكاله وضروبه وأنواعه. فكأنّ بين الصحافة العربية ومصادر الأخبار في الوكالات الأجنبية، في الأمس واليوم، اتفاقاً موقعًا بأن لا تحيد الصحافة العربية عن تلك المصادر بحرفيتها. فإذا جاء في الخبر (أنا صحافي حمار)، نقلوه لنا دون أدنى تعديل، فأمانتهم أمانة لا يوجد لها مثيل. عقولهم معطلة وأدمغتهم مؤجرة. فما وظيفة الإعلام العربي؟ أهي استعراض "فاتنات" العرب وهن يتبدلن ويتحولن أمام عدسة الكاميرا، أم هي نقل الخبر بما يستوجب من معلومات توضحه وتستكمله في سياقه وفي ما يحفظ حقوق الناس والشعوب والأمم؟ ورب مدعٍ مئرٍ أحمق يقول مرة أخرى: ولكننا نلتزم الحياد في نقلنا للخبر الجاد! يا عباد! ولكن أليس قولكم يا سادة يا كرام (إعادة انتخاب مشرف) تزويرًا للحقائق؟ فأيهما أشد خطرًا وحماقة؟ نقل الخبر بحرفيته من وكالة أخبار أجنبية وقد أعده كاتب أجنبي أشد حماقة وغباء ونشرته فتلقفته وسائل الإعلام العربي الببغائي، أم نقل الخبر بحقائقه ودقائقه؟

عجبتُ لها أنّـــى يكونُ غناؤُها فصيحًا ولم تَفْغَرْ بمنطقِها فَما
فلم أرَ مثليَ شَاقَهُ صوتُ مثلِها ولا عربيًا شَاقَهُ صوتُ أعجَـما[٢]

إلى أن تستمع إلى تصريحات السياسيين العرب وهم يتحدثون الإنجليزية في المحافل العربية. ولكن هكذا يجري تزوير التاريخ على أيدي الأغبياء والماكرين. هكذا ضاعت فلسطين بسبب غباء المترجمين والسياسيين العرب. وهكذا يتغيّر التاريخ الحديث على مرأى ومسمع المشاهدين النائمين، ولا حدّش داري! ولمَ لا؟ فهذا حق مشروع، على حد قول الببغاوات الحمقاء التي راحت تنادي: حق مشروع! حق مشروع! ولا يسألون أنفسهم بما بقي من خلايا ناشطة في أدمغتهم الناشفة: وهل هناك حق غير مشروع؟ والحق، يا أغبياء، هو: الأمر المقضيُّ الثابت بوجوب الوجوب. أي أنه حق طبيعي أو قانوني أو خُلقي، وهو حكمًا مشروع (أي by default، لمن يريد التعمق والتعلق بأهداب اللغة الإنجليزية)! أي أنه يستمد مشروعيته من طبيعته وماهيته. فإما أن تكون صاحبَ حق أو لا تكون. وكما قال السلف صاحب الحق سلطان. ولكن في زمن التأويل والتفسير تضيع المعاني في سفسطات عقب الحداثة ودبرها فلا يبقى شيء بمعنى إلا وله معانٍ مختلفة ومتبدلة حسبما في بطن القائل أو عقله أو أسته! وكل يغني والأصوات نشاز! كان لي صديق ونحن على مقاعد الدراسة الثانوية، له أب مستبد متسلط، كان كلما تفوه بكلمة أردفها بعبارة (بلا معنى)، فيما يقابل التعبير الإنجليزي (pardon the pun)، وقد كان عاقب حداثة قبل أن يصله عقب الحداثة وتضيع الطاسة! والحقيقة أن الحمقى رأوا اللفظ الإنجليزي (legitimate right)، فترجموه بـ(حق مشروع) دون إدراك الغاية من العلاقة الشرطية للنعت والمنعوت في

Copyright © 2007 Ali Darwish.
Translation Monitor™ is an electronic bulletin published by Ali Darwish. All Rights Reserved.

الإنجليزية وعلاقتهما الوصفية في العربية ثبوتاً لثبوت، كما بيّنا في مقالات سابقة. فراحوا يكررون بلا عقل ولا وعي ولا منطق: المقاومة حق مشروع. وامتلاك الطاقة النووية حق مشروع، الخ. ولقد حق عليهم قول الشاعر:

يا سائلي والأمرُ لي سُؤْلٌ غريبْ
هل في زوايا العقلِ من علمٍ مجيبْ
هذا زمانُ الحُمْقِ والجَهَلِ المُريبْ
هذا زمـــانٌ سائـــدٌ فيـــهِ العجيبْ
أين المداوي والطبيبُ المحتضَرْ
أين المعافى والمريضُ هو الطبيبْ

تلك هي قصة الجهل والغباء في الإعلام العربي المزري!

محفوظة جميع حقوق

جميع حقوق الطبع والتأليف محفوظة للمؤلف

أنجزت المسودة الأخيرة في ٦ تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠٠٧

حقوق الملكية الفكرية للمؤلف

يا قـــارئَ المكتوبِ فكّـــرْ في الـــــذي كُتبا
واحفـــظْ حقوقَ الفكرِ في المخطوطِ محتسِبا
لا تـــأخـــذنَّ النـــصَّ من مخـــــزونِ كاتبـــه
أو تـــدعي فـــي العِـــلمِ فضـــلَ الغيرِ منتسبا
واحـــــذرْ فـإن الفـــكرَ معـــقودٌ لصـــاحبـــهِ
مهـــما تمـــادى الغيـرُ في المنسوخِ مكتسبا
هـــذي سطـــورٌ مـــن جنـــى الأيـــّـــامِ أكتبُـــها
فاذكـرْ إذاً في العـــــلمِ والآدابِ من كَتَـــــبا

المؤلف

[1] لعنترة أو لخُزَز بن لَوْذَان السدوسي.
[2] لحُمَيْد بن ثَوْر.

Copyright © 2007 Ali Darwish.
Translation Monitor™ is an electronic bulletin published by Ali Darwish. All Rights Reserved.